البعثيين لمفهوم النضال الوحدوي القومي، وبين استراتيجية الثورة الفلسطينية القائمة على اساس الاستقلالية. فانتقد البعثيون علاقة قادة الثورة بالانظمة العربية، واعتبروا ان هذه العلاقة لا تتم الا على حساب مصلحة الجماهير العربية، كما اتهموا قيادة المقاومة الفلسطينية بعدم التمييز «بين الجماهير العربية والانظمة العربية، بل ان تميز بين تسلط الانظمة وبعدها من مطالب الشعب وبين الجماهير المناضلة»[٢٧].

وكان لا بد لمنطلقات الثورة الفلسطينية، وخصوصاً حركة «فتح»، القائمة على ضرورة تجاوز الكثير من المعوقات والعوائق التي تعرقل انطلاقة الشعب الفلسطيني، وتسبيق متطلبات النضال القطري الفلسطيني، كان لا بد لهذه التصرفات من ان تُواجَه بانتقادات واتهامات بالاقليمية. وكان اكثر الشعارات الفلسطينية اثارة لحزب البعث شعار «عدم التدخل في الشؤون العربية الداخلية». واعتبر البعثيون ان «النزعة القطرية ساهمت، ايضاً، في خلق شعار عدم التدخل في الاوضاع العربية الذي ادى، في النتيجة، الى الوقوع في اسر الانظمة العربية ومؤتمرات القمة»[٢٨].

ولكن، هل فعلاً تبنى حزب البعث استراتيجية حرب التحرير الشعبية عن اقتناع فكري كافٍ ليدفعه الى ان يمارس هذه الاستراتيجية، عملياً، في الواقع ؟ نحن نشك في الامر، لاسباب ذاتية وموضوعية، وبفعل الممارسة العملية لانظمة البعث. فاستراتيجية الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية ليست مجرد فكرة، لكنها ممارسة على ارض الواقع. وان يمارس البعثيون، خصوصاً في سوريا، هذه الحرب معناه اعلان الحرب وبدء العمليات العسكرية مع العدو الصهيوني ومع حلفائهم الامبرياليين. فسوريا، في ظل الظروف الذاتية، السياسية والاقتصادية والعسكرية، غير مؤهلة لمثل هذه الحرب، وغير راغبة فيها؛ وذلك لسبب بسيط، وواضح، هو ان الدول العربية المعنية بالصراع العربي ـ الصهيوني، بما فيها نظاما البعث، مقيدة، في تعاملها مع العدو، بسياسة الامن الاقليمي، لا القومي، ومفهوم الامن الاقليمي، يدفع بكل دولة للبحث عن سبل المحافظة على وجودها وتسبيق المصلحة الاقليمية على المصلحة القومية. وحتى في حالة الاشتباك مع العدو، فان الهدف يكون تعزيز الامن الاقليمي والمحافظة على الحدود القائمة. ولكي تبقى، ايضاً، الحرب في حدود السياسة المتبعة، ولكي تبقى مقيدة بالاستراتيجية الاقليمية، فانها تكون حرباً نظامية رسمية، لا مجال للجماهير فيها. وكونها حرباً نظامية، فهي محكومة بتوازن القوى مع العدو[٢٩]. بالاضافة الى هذا، فان الدول العربية المحيطة باسرائيل، بما فيها نظاما البعث، مقيدة باتفاقات تحدد الوضعية العسكرية على الحدود مع العدو. وقد ظهر التزام الدول العربية، بما فيها البعثية، بمفهوم الحرب النظامية المحكومة بتوازن القوى، في اثناء الغزو الاسرائيلي للبنان صيف العام ١٩٨٢، وعدم دخول سوريا الحرب بكل قوتها ضد العدو، حيث برر القادة السوريون السبب في عدم رغبة سوريا في الانجرار الى حرب غير مستعدة لها، وان سوريا ستكون مستعدة للحرب عندما تصل الى درجة التوازن الاستراتيجي مع العدو[٣٠].

واذا كان مفهوم الحرب لدى نظام البعث مرتبطاً بالتوازن الاستراتيجي ـ ونحن لا نعرف كيف ستصل سوريا الى توازن استراتيجي مع اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية ـ مع العدو، فأين حرب التحرير الشعبية؟ اين الجماهير المقاتلة؟

لقد تأكد كون تبني استراتيجية حرب التحرير الشعبية لم يكن الا مناورة ومجاراة للتيار